نـافـذة

الشرق الأوسط

مساحته حددتها لغته العربية وأقسامها المتفرعة منها ولهجاتها واختلافات النطق فيما بين سكانها؛ أي من كشمير الباكستانية الهندية، وصولاً إلى المغرب على المحيط الأطلسي، ومن القوقاز شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، مروراً بكامل دوله، لم يتوقف عن مشاغلة العالم، من ذاك الماضي وصولاً إلى حاضره، والعالم يصر على مشاغلته، فتسأل مجتمعاته: لماذا هذا الاستهداف الدائم، وهو بيد من؟ وجميع من فيه يعمل لمصلحة من، لشعوبه أم لأجندات تغطيه، ترفعه وترميه، تخفضه وتذله وتغريه، تأخذ به إلى فنون المراوغة، وتعيده إلى ذاته وحيداً، الأمم المتحدة ليس لديها أي شيء تمنحه له سوى التنديد أو التأييد لهذا الطرف أو ذاك، بحكم أنه منذ مئة عام، وحتى اللحظة، هو الشغل الشاغل للقوى العظمى المتناحرة عليه وضمنه، في السر والعلن، ترخي عليه كامل معضلاتها، وحتى أزماتها ترحلها، ومن ثمّ تراقب مجرياتها بدهاء شيطاني، وتحت مظلة ضخ إعلامي هائل ودعايات مضللة وهدامة، تسمم أفكار شعوبه، وتفسد مجتمعاته، ليذهب جميعنا ويدقق، والذي نكتشفه يدعونا لفرده ووضعه أمام الشعوب، كي يعي أين هو من الخريطة العالمية، سنجد أن عالماً مضطرباً وللمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية، يشهد تطورات تخترق كامل بنيانه موجات سريعة ومتلاحقة من الرعب والعنف، تطول عالم الجنوب برمته، وبشكل خاص منطقة الشرق الأوسط التي يبث منها الإرهاب إلى عالم الشمال ضمن منظومة عملياتية دقيقة، تعيد رسم ما تحتاجه تلك المجتمعات بين الحين والآخر، والسبب الدائم يكمن في الحاجة الماسة لحياة الغرب والشمال الذي من دونه لا حياة له.

إن ضآلة العلم والمعرفة والخبرات التي يعمل العالم الأول على إبقائها ضمن حدودها الدنيا في عالم الجنوب، وتطويق عمليات الإفادة من مواردها المادية والفكرية والاقتصادية، والتلاعب الدائم بمنظومات القيم الروحية الإيمانية والدينية عبر تعزيز مفردات الطائفية والمذهبية والإثنية، وبث روح الأحقاد ضمنه وبين الدول المجاورة، والعمل الدؤوب على إبقاء جاهزية إحداث التفسخ الداخلي، من خلال تعميم نظرية الفساد المستندة على عاملي الروتين والرشوة، يبقي ويحمي ضمانات بقاء السيطرة لعالم الشمال عليه خفيةً وعلانيةً.

التغييرات الجذرية قادمة لا محالة، والعالم بأسره بدأ يسأل بتلهف عما يخبئه له المستقبل الذي لم يستطع أي أحد أن يملك معلوماته، باستثناء عمليات التخطيط لحضورنا فيه، كما أن جميع الدراسات تشير إلى تدفق المعلومات بشأنه، والتي تدلنا عليه من خلال زمني الماضي والحاضر المولدين الرئيسين عن فكرة تصور المستقبل الذي نتوقع أن يكشف لنا عن متغيرات هائلة، تخالف كثيراً من التنبؤات، وتنسف جُل المخططات، إن لم يكن جميعها، ما سيؤدي إلى ظهور ليس خريطة عالمية جديدة فحسب، بل ربما مجموعة خرائط.

الظاهر للعيان يؤكد أن كل ما يجري، يسعى الآن لهدم الأفكار العالمية القائمة، التي باتت تقليدية ومكشوفة، وما نراه من حالات تمزيق للشعوب، وَلَيِّ لإراداتها، واستلاب لحقوقها وحرياتها، ما هو إلا من أجل إعادة السيطرة عليها، بعد أن أرعبتها تطلعاتها نحو النمو والتقدم والبناء الذاتي الممنوع عليها ضمن أدبيات وسياسات عوالم الشمال، ومرة ثانية الذي يجري على جغرافية هذا الشرق الأوسط، والعربي منه بشكل خاص، ما هو إلا محاولات لإعادة استعباد العالم بأسره من جديد، من خلال حروب غريبة شعواء وخبيثة، تستثمر فيها المنظومات الدينية بشكل خاص التي انتشرت وطفت على السطح، من أجل ضرب المجتمعات مع مفاهيم الإيمان الصحيح الدقيق في التعاملات، وفرط عقد المنظومات الأخلاقية التي أتحدث عنها، ومهما حاولوا، فإنهم لن يقدروا على إفنائها والسبب الوجود المؤكد لساسة أخلاقيين، ومعهم اقتصاديون ومؤمنون، يصرون على حمل راية البقاء كمستقلين يملكون الحق، ويقبضون عليه بقوة نادرة، يتحدون به كامل قوى الشر والطغيان، وينجحون بصمودهم الاستثنائي وبثباتهم النادر.

إن استتار عالم الشمال خلف أصابعه، أصبح مكشوفاً، وكما تحدثت للسواد الأكبر من الشعوب، إلا أن مخططاته الخطرة وتلاعباته المغرية، مازالت مستمرة، ومؤكد أنها ستستمر، لأن غايتها الأولى والأخيرة اصطياد إنسانية الإنسان، ونهب أفكاره وخيراته، لذلك نجد أن التنبه إلى الأخطار من نتائج الأزمة التي يحياها الشرق الأوسط، من الضرورة بمكان، تدعونا إليها مجرياتها عبر فهم الأهداف المنشودة من إثارتها، وبقاء اليقظة لدى المستنيرين، فأبواب الحرب العالمية الثالثة بدأت تتحرك جغرافيتها، والتهابها وارد الحدوث، على الرغم من قناعة الأغلبية ببقاء كل ما هو عليه على حاله، وصحيح أنها مازالت تتراوح بين البرودة والفتور، إلا أنّ التحريض على اندلاعها مستمر وبقوة، من باب أنه آن أوانها، كما أن المحرضين على الفوضى واللاعبين على حبالها، مازالت أياديهم مؤثرة في حراكها، لكنهم حتى اللحظة، لم يستطيعوا أن يحددوا شكل العالم، أو إلى أين سيصير، وصحيح أنهم رسموا له شكلاً حتى اللحظة، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في مستنقع لوحته التي صاغوا ألوانها، ليعودوا من جديد، وليبحثوا عن كيفية الخروج منه، فعالم الشمال ممتلئ بالقوى العظمى، ما يدلنا على أنهم أصبحوا مختلفي الأهداف، وبشكل أدق، ليسوا يداً واحدة، إنما وصلوا إلى حدود التجرؤ على بعضهم بعضاً، وأكثر من ذلك استباحة وجودهم، ومن هنا أقول: إنّ لا أحد يمتلك معرفة إلى أين يسير عالمنا اليوم، ولكن من المؤكد أن هذا الشرق سيغير وجهه ووجهاته، لذلك أجدني أرى أنه من المفيد إعادة تعويم فكرة المؤامرة الكبرى، والبحث في مدى تشعبها وتغلغلها في ذهنيات شعوبنا، على اختلاف وجودهم الطبقي، وإدراك خطورة هذا التغلغل الخفي الذي يرفضه البعض من المجتمعات، بل يتمسك بمقاومته ومحاربته من أجل إحداث التغيير.

السؤال المهم الذي يفرض نفسه هنا: من أجل ماذا ولماذا يحصل معنا ما يحصل ألا يدعونا كل ذلك للتوقف عنده؟

د. نبيل طعمة

في الفلسفة الوجودية لكن في واقعيّة سوريّة

لا مخرج... وأسئلة في وجود الإنسان السوري بعد خمس سنوات من الضياع

عامر فؤاد عامر

يمزج «جان بول سارتر» الفلسفة في الأدب؛ اقتراباً من الإنسان وتفاعلاً معه، وهذه إحدى وسائل الفلسفة الوجوديّة في البحث عن الجواب حول السؤال المطروح في ميدان الوجوديّة، التي تشغل الفكر الذي يبحث عن سرّ الوجود البشري والتوفيق بين الموضوعيّة والذاتيّة، وبين المطلق والنسبي. في نصّ «جلسة سريّة» المسرحي وهو النص الأساسي التي أُخذت عنه مسرحيّة «لا مخرج» يطرح هذا النص مشكلة الفرد مع الآخر الذي يعيش معه، ويدور حول مشكلة الوجود مع الآخرين أو الاتصال بينهم، فالعلاقات الإنسانية هي جوهريّة الوصف- كما يتحدّث النص الأساسي – فوجود الإنسان لا يقوم إلا «بالغير» ومع «الغير».

في إطار التجريب

«لا مخرج» عرض مسرحي يقع ضمن إطار التجربة الأولى لخريج قسم النقد في المعهد العالي للفنون المسرحيّة «علاء الدين العالم» الذي اجتهد في قولبة النص المسرحي الأساسي بمحبّة ليكون نصاً قريباً من الشارع السوري، ومنه انطلق لصناعة عرض مسرحي يهدف لطرح أسئلة تشبهنا ومن واقعنا، فقدم تجربته بعناية وبجديّة، ومن تصريحه للوطن اقتطفنا: «.. بدأت لحظة العمل من اختيار النص، والفكرة جاءت بأن ما يلزمنا اليوم هو سؤال له علاقة ببعد إنساني أكثر من البعد السياسي، فبعد خمس سنوات مما حدث في وطننا كان لا بدّ وببساطة أن أبحث عن تفكير إنساني أشمل من أي فكرة نتنازع فيها، وبالتالي لجأت لـ«سارتر»، فالنص جاء من حقبة تاريخيّة مشابهة ليومنا الذي نعيش، وباريس عام ١٩٤٤ كانت تعيش واقع الحرب، وسؤال من أنا؟ أو الحفاظ على الهوية، وكيف؟... إلخ كل ذلك هو ما يشغل بالنا اليوم».

أسئلة الواقع السوري

أن نعي اختلافنا هو أن نحافظ على حالة التنوع التي نتميّز بها عن شعوب العالم والحضارات البشريّة التي عاشت على الأرض، فإذا وصلنا لهذه الفكرة سنبدأ بتلمّس الحلول، ولكن هذا لا يكون إلا من خلال التفكير بالآخر والشعور به، والبحث عن أسباب وجودي معه، وهذا ما اتجه إليه العرض ضمن واقعنا الذي عشناه بالاعتماد على النص الأساسي الذي اختاره مخرج العرض علاء الدين العالم، والذي وضّح لنا ذلك من خلال قوله: «... ما يقوله النصّ الأساسي كان في البحث عن الحلّ، وهو من خلال وعي الاختلاف بيني وبين الآخر، وهو الموضوع الذي لا مفر منه، لأن وجودي مع الآخر هو أمر محسوم، وببساطة هذا هو المطلوب، بالتالي خلق تساؤلات أكثر من العمل على إيجاد الأجوبة، وليكون الكلام أكثر وضوحاً طرحت شخصيّة مثليّة بعيداً عن الوصف الكاريكاتوري الذي يقدّم عن هذه الشخصيّة كما اعتدنا فقد عملت على تقديمها كمشكلة واقعيّة في المجتمع السوري موجودة بيننا، وهي من نسيجه، فقدمتها كما هي وتركت للجمهور أن يسأل نفسه عنها، وأيضاً عملت الشيء نفسه في فكرة العبودية والتماهي معها لدرجة عدم التفكير فيها من خلال شخصيّة الخادم، وكذلك كان الأمر حول الفتاة المسحوقة أو الأنثى التي تعاني في مجتمعنا، فمع مرور كل هذه السنوات لم نسمع عن تظاهرات نسائيّة ودور نسائي فاعل كما يجب، فأين هي الأنثى اليوم في مجتمعنا؟ أعتقد أن هذه الأفكار هي الحاضرة في حياتنا بقوة اليوم».

من الفصيحة للعامية وعمليّة التبييء

العمل على تحويل نص غربي من خلفيّة تعتمد على لغة الفلسفة هو أمر ليس بالهين، فكانت إحدى الدلالات على تعب فريق عمل «لا مخرج» هو العمل على تحويل النص من فصيح إلى عاميّة قريبة من واقعنا، والبحث في الشكل البيئي القريب من بيئتنا والمساهمة من الممثل في فهم الدور ضمن اللغة التي نعيشها ضمن الصورة الأقرب للواقع الذي يهمّ السوري دون غيره، وقد عملت «رهام محمد» على ترجمة النص الأساسي من الإنكليزيّة ودققته عن الفرنسيّة، واشترك الجميع في نقل وتحويل النصّ من الفصيحة والخطابات باتجاه الحياة اليوميّة، ومعالجة الفكرة الميتافيزيقيّة التي تندرج تحت عنوان «مكان الجحيم» وكلّ ذلك بلغة من التعاون كي يكون النص النهائي أكثر ضبطاً وتماسكاً، مع الابتعاد عن الغموض، وبعد ذلك جاء العمل على تشكيل الصورة الأخيرة للعرض، ووضعه في مدّة ساعتين لا تحملان أي حالة من الملل بل فيها الحياة والقرب من الذاتيّة في واقعنا السوري، وقد تطلب كلّ ذلك جهداً في العمل كورشة بحثاً عن شكل بيئي ينسجم مع خصوصيّة سوريّة، وهذا الضبط قام به بصورة أساسية الدراماتورج «حازم صالح» كما أن الممثلين «جان دحدوح»، و«كندة حميدان»، و«لمى بدور»، و«معن حمزة»، كان لديهم دور في عمليّة التبييء تلك من خلال تبنيهم للعمل والتفكير بمحبّة وجديّة لإنجاح العمل في لغة من التعاون، يفترض أن تتجه فيها كلّ الأعمال المسرحيّة السوريّة إلى منهجيّتها.

تجربة مسرحيّة من العلم النظري إلى الواقع العملي

موسيقا وفضاء

لم يحمل العرض إيقاعاً للموسيقا كما اعتدنا في كثير من العروض فلا شرط للموسيقا في «لا مخرج» فقط في نهاية العرض كان هناك مقطع من «حصان تورينو» الذي يحمل في بنيته شيئاً من الأبدية أو التكرار، لكن يمكن القول بأن لحظات الصمت التي رافقت العرض كانت هي نفسها الموسيقا التي جعلت من المتلقي أكثر قرباً من البحث عن السؤال الذي يهمّه. ولن نغفل المقطع الغنائي الذي أدته «كندة حميدان» الذي حمل اشتراكاً مع المتلقي الذي تقاسم المشهد، وكأنّ الأغنية في باله وتهمّه، والبعض من الجمهور كان يرددها فعلاً معها، ومن هناك يمكن الإشارة أيضاً للفضاء الذي اختاره المخرج «علاء الدين العالم»، وهو عبارة عن قبو في بيت شامي قديم يشبه تماماً وصف الموقع الذي تكلّم عنه الخادم، بأنه غرفة وفي الخارج سرداب يوصل لغرفة أخرى وهكذا، وهنا إشارة جديدة لتكامل صورة «البروشور» مع هذا التوصيف، وبذلك يمكن القول بوجود لغة من الترابط بين عناصر كثيرة، اشتركت في ولادة هذا العرض المسرحي الجدّي بكلّ معنى الكلمة.

الاجتهاد في ٨ ساعات يومياً من التمرين المتواصل خلال مدّة ٤ أشهر ونصف، ليكون العرض المسرحي «لا مخرج» أكثر تكاملاً بين العروض التي أنتجت مؤخراً، فقد احتوى على أسئلة «الآن هنا» من منطق مسرحي، واعتنى بقربه من الهمّ السوري اليومي، وابتعد عن حالتي الملل في مغامرة «ساعتين من الزمن» لعرض مسرحي، والغموض الذي تعاني منه معظم العروض المسرحيّة، فكانت لغة العمل في ورشة نظرية، مدّة ٣ أسابيع، لتمتين الفكر النظري لنص «جان بول سارتر» وماذا يفعل الجميع في هذا العرض، قبل المباشرة في التدريب العملي والشكل النهائي للعرض المسرحي. بالتالي كان هناك اشتراك في الهدف من العمل بين الجميع، ومعرفة في كيفيّة التوجّه، قبل العمل على التدريب العملي.

أخيراً...

«لا مخرج» عرض مسرحي من تأليف «جان بول سارتر» ومن إعداد وإخراج «علاء الدين العالم»، والمخرج المساعد «حازم صالح»، والأداء: «جان دحدوح»، و«كندة حميدان»، و«لمى بدور»، و«معن حمزة»، وترجمة النص «رهام محمد»، والسينوغرافيا «إيهاب حداد»، و«عيسى قارصلي»، و«رواد حداد»، والإضاءة «نورما برنية»، وتصميم الأفيش والبروشور «هاني عباس»، والعمل جاء برعاية «مواطنون فنانون».

رجا الشربجي.. ظريف دمشق حتى في مجالس العزاء

أنس تللو

رجا الشربجي ظاهرة فريدة نادرة في عالم الظرافة والطرافة.

رجل عاش بين الظرفاء فتميز بينهم بنكهة نادرة عجيبة تسبق جميع الظرفاء، إلا وهي أنه جمع بين موهبتين اثنتين؛ فكان قمة شاهقة من قمم التقليد وآية بديعة من آيات الابتكار.

شكل لطيف ومبسم جميل، وضحكة عريضة مؤثرة في أعصاب كل من يسمعه.

رجا الشربجي رحمه الله رجل وهبه الله ذاكرة قوية جداً تجعله يعي أدق التفاصيل عن أولئك الظرفاء القدامى الذين عاصرهم... ورث ظرافته عن أبيه رضى الشربجي الصحفي القديم، وأورثها إلى ابنه البكر عامر الشربجي حفظه الله.

كانت ذاكرة رجا الشربجي الحادة وموهبته الفنية الرائقة تتجليان في كل مجلس، فإذا ما سأله أحدهم عن طرفة من تلك الطرف القديمة التي مات أصحابها أعادها أمامه بكامل تفاصيلها، وصور الموقف تصويراً عجيباً، وأخرجه بإتقان تام مبدع تجعل الناظر إليه يظن أن ذلك الظريف القديم قد بعث إلى الحياة، وأنه ماثل أمامه الآن.

ومن غرائب رجا الشربجي (أبو عامر) أنه كان إذا غضب من أحد ما انهمر عليه بالكلام مدراراً، حتى إذا ما احتدم النقاش أكثر احتدّ أبو عامر وكال لمحدثه سيلاً جارفاً من الشتائم الضاحكة والجارحة في آن معاً... إنه مخترع عظيم للسخرية الواعظة، يثور ويثور ويشتم بألم، ثم يعود إلى مرحه السابق بضحكته المجلجلة، ما يدل على قوة الشخصية ورجاحة الفكر.

وهذه السخرية النادرة الناقدة جعلت رجا الشربجي يخفف عن نفسه وعن غيره الكثير الكثير من المتاعب والمشاكل، وقد حدثني مرة قائلاً: إن هذه السخرية الضاحكة هي سياسة مثالية لإراحة الأعصاب من العناء، وإن الناس باتوا يتهافتون على عمليات تبديل شرايين القلب لكثرة الضغوط والمشاكل...

وكثيراً ما كان الناس يستعينون برجا الشربجي لفض المشاكل وحل النزاعات الزوجية والخلافات العائلية.

أخرج الدكتور صبري القباني عن وقاره

عدنان تللو أراد رجا الشربجي المشاركة بالعزاء، وكانت قد تقدمت به السن فأوصلته إلى حمل العكاز، وطلب مني أن أحضر إليه لأصطحبه إلى بيت العزاء، ولما وصلنا ودخلنا معاً – وكان هناك ممر طويل قبل الوصول إلى الساحة التي يعقد فيها العزاء – تصادف أن الشيخ الذي كان يقرأ القرآن كان قد توقف لبرهة عن التلاوة وبدأ يقدم المواعظ للمستمعين ويحدثهم عن مآثر الموت وفضائل الانتقال إلى الملأ الأعلى، وقد كان السيد شربجي يتوقع أن يسمع صوت الذكر الحكيم فإذا به يسمع صوتاً أجش ينصح ويعظ، فما كان منه – رحمه الله – إلا أن أخذ يزيد في خبط عكازه على الأرض، وأخذ يصيح:

• لك مين هادا الذي يتكلم مين هاد.

فحاولت أن أخفف من روعه فلم أفلح، وما زال يصيح حتى كدنا نصل إلى مجموعة الأشخاص الذين يقفون لاستقبال المعزين، فلما رأوا الشربجي يتقدم نحوهم وهو يلوح بالعصا نحو الأعلى يرفعها تارة ثم يخبط بها على الأرض تارة أخرى، وهو يرغي ويزبد وينهال بشتائم عجيبة غريبة لم يسمعوا بها من قبل، بدلاً من أن يدخل خاشعاً متبتلاً كما يدخل المعزّون، أوجسوا منه خيفة وتراجعوا إلى الخلف، في حين كان هو يتجه نحوهم مسرعاً وهو يقول:

• لك شو هادا يا جماعة والله صرنا بالقرن الواحد والعشرين شبكم أنتوا.

وبعد أن دخلنا حاولت أن أشده من يده إلى الجلوس لكنه توجه بعصاه المرفوعة نحو المجلس وصاح بوجه الشيخ:

• لماذا لا تقرأ القرآن... شو جايبينك مشان تنصحنا... مو حاجتنا وعظ العمى بقلبكم العمى.

وبعد أن جلسنا أخذ بعض الأشخاص ينظرون إلينا بعيون ملؤها التعجب... وبعضهم يسألني بنظرات تستفسر وتتساءل من هذا الإنسان الذي جئت به... وقد كنت لا أستطيع أن أتمالك نفسي من شدة الضحك، لكني كنت أشيح بوجهي عنهم إلى مكان آخر، وأنا أضغط على نفسي من شدة الحالة التي وصلت إليها، لأن رجا الشربجي قد استمر بالحديث (الواعظ)، ولكن عن طريق الشتائم الضاحكة، ما أدى إلى أن الجميع قد خرجوا من حزنهم واندفعوا وراء كلماته بموجة من الضحك الشديد جعلت رجل الدين يخرج من وقاره المعتاد ويغشى عليه من كثرة الضحك... ثم بعد دقائق سكت الشربجي فسكت الناس فخبط بعكازه خبطة قوية على الأرض أذهلت الجميع وقال: يا الله يا ابني انتهت الزيارة... وخرج من مجلس العزاء وهو يقول: التعزية تسرية... والهدف منها إزالة الحزن عن الحاضرين، وليس تكريسه وتثبيته.

في مجلس فخري البارودي

ومن مآثر ظرافته أنه قد حدث خلاف بينه وبين حسني تللو، واستمر الخلاف مدة محدودة، ثم حدث أن توجه حسني تللو إلى الندوة اليومية التي كانت تعقد في بيت البارودي من أجل السمر والضحك...

دخل حسني تللو فوجد رجا الشربجي جالساً في صدر المكان، فاغتاظ تللو لهذا المنظر وأمال تللو رأسه وفتح فمه بنزق كبير يريد أن يكيل الشتائم للشربجي، ففاجأ الشربجي الجميع بأنه قد سبقه ووقف بشكل سريع وأشار بيده إلى تللو وهو يقول: أبوك أنت... ردّ له الشتيمة قبل أن ينطق ذاك بها، فتعجب حسني تللو من سرعة بديهته وأقبل عليه يقبّله ويعانقه عناق الأحبة.

وهكذا كان الظرفاء دوماً... ضحكة واحدة كفيلة بحل أي نزاع.